

الحديث هو كل ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، إذ كانوا يقتدون به فى أقوالهم وأفعالهم عملاً بقوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) ويقول الجاحظ : « كانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبى بكر وعمر ، وفى ابن سعد عن صالح بن كيسان قال : اجتمعت أنا والزهرى ونحن نطلب العلم فكننا نكتب السنن ، قال : وكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ، قال : قلت إنه ليس بسنة ، قال : فكتب ولم أكتب ، فالقرآن مثلاً لم يذكر تفاصيل الصلاة والزكاة وهما من أهم أركان الإسلام ، بل اكتفى بمثل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وفصل الحديث أوقات الصلاة وكيفيةها كما فصل القواعد والأسس التي يجب اتباعها في جمع الزكاة وتوزيعها . وهذان أمران من مئات الأوامر التي تناولتها أفعال الرسول وأقواله . وبذلك كان مكملاً للقرآن ، وبأن يكون عمادة السنة فلا يجدوا منها كما مخرجاً وكان الصحابة يروون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وكان فعن ابن عباس قال : قال رسول الله : « اللهم ارحم خلفائى قلنا يا رسول الله ومن خلفائك ؟ قال : الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس (١) . وكان كثيراً ما يقول للوفود : احفظوا أحاديثي واخبروا بها من وراءكم من العشائر ، وتكرر فى خطبة حجة الوداع المشهورة : (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وكان يُرسل فى القبائل رسله ليعلّموهم القرآن وسنته . ومر بنا أنه لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله : بم تقضى ؟ فقال : بكتاب الله ، فقال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسوله . حتى يقفوا على أوامر الدين ونواهيه وما أخذهم به من آداب ونظم . واشتهر من بينهم جماعة بكثرة ما روى عنهم فى هذا الباب مثل أبى هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك ، وكثير غيرهم . حتى إذا ذهب الصحابة خلفهم التابعون يحكون ما سمعوه منهم . وبذلك أخذ الحديث ينتقل من جيل إلى جيل ، وبذلك تعددت طرق رواية الحديث ، وأصبح يحتوى متناً وسنداً يطول ويقصر . الرواية والنقل الشفوى ، وهي فى اللغة العادة ويراد بها تقاليد الأسلاف الأولين وقد حولها المسلمون إلى التقاليد التي حكيت عن الرسول وصحبه . ومما لا ريب فيه أن بعض أحاديث الرسول دون فى حياته ، وخاصة تلك التي تتصل بالزكاة حين كان يكتب إلى بعض الأقوام يبين لهم فرائض دينهم ، على نحو ما نجد ذلك فى بعض كتبه المأثورة (١) . فقد أذن لرجل من الأنصار شكاً إليه سوء حفظه لما يسمع منه أن يستعين على حفظه بيمينه (٢) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب ما يسمع من حديث فأذن له (٤) ، وفى بعض الأحاديث أن الرسول أمر أصحابه أن يكتبوا لرجل يمني خطبة سمعها منه ، تضمنت بعض الأحكام ، الدينية (٦) . على أنه ينبغى أن لا نبالغ فى تصور ما كان من هذه الكتابة لحديث الرسول فى حياته